5 – ندوة حول: المصطلحات والمفاهيم في التاريخ

عقدت المجموعة المغاربية للدراسات التاريخية والأثرية والحضارات المقارنة ندوتها الأولى في كلية الآداب بمكناس (جامعة مولاي اسماعيل) خلال اليومين 27-28 يناير/كانون الثاني 1993 في موضوع (**المصطلحات والمفاهيم في التاريخ**).

وقد شارك في أعمال هذا الملتقى لفيف من الأساتذة قدموا من جامعات عربية عديدة (موريتانيا والجزائر وتونس وليبيا ومصر والكويت، ومكتب تنسيق التعريب بالرباط (التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم)، وكليتي الآداب بالمحمدية، وعين الشق بالمملكة المغربية، إضافة إلى عدد من الأساتذة المشاركين من كلية الآداب بمكناس، مقر عقد الملتقى.

وقد دارت العروض والمناقشات والمداخلات حول خمسة محاور أساسية، هي : **المحور الأول في (الاشكالية النظرية للمصطلح)** ألقيت فيه ثلاثة عروض للأساتذة : حسين كنوان وعز الدين البوشيخي (كلية الآداب بمكناس) وجواد حسني عبد الرحيم (مكتب تنسيق التعريب بالرباط).

وفي العرض الأول من عروض هذا المحور، ركّز **الأستاذ كنوان** على ضرورة ضبط المصطلح وتحديد مفهومه في اللغة العربية من حيث نشأته، وتحديد حمولته الاصطلاحية قبل وبعد أن تتمخض لحقل معرفي معين. ثم مثل على ذلك بمصطلح (الثقافة) عبر تقلباته الدلالية التاريخية والمعرفية انطلاقا من دلالاته اللغوية والاصطلاحية. فيما أبرز **الأستاذ البوشيخي** في عرضه وظيفة القطاع المصطلحي في بناء العلوم عامة وعلم التاريخ خاصة. كما بحث في نوعية العلاقة القائمة بين المعجم المصطلحي بصفته جزءا من المعجم الذهني وبين النسق المفاهيمي.

أما الأستاذ جواد حسني فكان لابدّ أن يتناول عددا من القضايا الجوهرية من مجال عمله الخاص بالمعجمية والمصطلحية كإشكاليات في التعريب القديم والحديث. ومن هذه القضايا التي أثارها الباحث الترادف المصطلحي والمشترك اللفظي ومسألة التوحيد المصطلحي التي ما انفكت تنتصب عوائق أساسية في وجه التعريب المعاصر في الوطن العربي. وقد دلّل على ذلك بأمثلة كثيرة حية لاظهار الفجوة الرهيبة في المنحى المصطلحي بين القدماء والمعاصرين.

ويتجسد المحور الثاني في (حدود توظيف المصطلح في التاريخ الاجتماعي والآثار) الذي ضم عرضين اثنين للأستاذين صالح بن قربة (معهد الآثار بجامعة الجزائر) ومحمد أمحزون (كلية الآداب بمكناس).

ركز الأستاذ بن قربة في بحثه على إشكالية المصطلح الأثاري من حيث كونه مترجما عن سياق أجنبي يحمل أساسا مضامين وشحنات معرفية أجنبية. وقد أورد الباحث مجموعة من الأمثلة التطبيقية للتدليل على عمق الاشكالية نحو : المحراب وعلم

الأسماء في كتابات الأثرية، والخزف والفخار، والتفاسير المستخلصة من التحف.

فيما دعا الأستاذ محمد أمحزون إلى توظيف المصطلحات توظيفا سليما انطلاقا من المقومات الحضارية للأمة، والأسس والثوابت التي تؤمن بها كما هي مجسدة في التراث العربي. وقد أشار الباحث إلى نقطة في غاية الأهمية، وتتجلى في مطالبته بالتروي في ترجمة المصطلح العربي عن اللغات الأجنبية لما يحمله من مضامين فكرية ودلالات تاريخية خاصة بمجتمعات هذه اللغات. وهو يرى أن سلخ هذه المضامين الأيديولوجية الغربية المتسترة في شحنات المصطلح الأجنبي المعرفية أمر في غاية الخطورة على المضمون العربي المراد توخيه أو نقله في المصطلح المترجم إلى العربية.

المحور الثالث (اشكالية توظيف المصطلح في المجالين الاقتصادي والمذهبي) وقد جسده عرضا الأستاذين محمود اسماعيل (جامعة عين شمس بالقاهرة والمعار لجامعة الكويت) وأحمد الطاهري (كلية الآداب بالمحمدية / المغرب).

تعرض الأستاذ اسماعيل في العرض الأول إلى مدلول مصطلح الايديولوجيا في الدراسات المعاصرة في وجهها الزائف ـــ الشعاري وفي اعتبارها علما للأفكار وفلسفة عند بعض الدارسين، كما ربط هذا المصطلح بمفهوم الدعوة في التراث الإسلامي انطلاقا من قراءات خاصة فيما بين أهل السنة والمعارضين في التراث.

فيما استهدف بحث الأستاذ أحمد الطاهري استقصاء مصطلحات التراث لتوظيفها في الدراسات المصطلحية والمعجمية المعاصرة والاهتمام بالمفهوم التراثي في ضبط المصطلح والتقعيد للمصطلحية الحديثة.

كما استأثر **المحور الرابع (البعد الاشكالي في توظيف مصطلح الطبقة)** بأبحاث الأساتذة : محمد تضغوت وابراهيم القادري (كلية الآداب بمكناس) ومحمد حناوي (كلية الآداب بالمحمدية / المغرب).

فقد تناول **الأستاذ تضغوت** مصطلح الطبقة بالتركيز على اشكالية لفظه ومضمونه في حقل الاجتماع الإسلامي، باحثا في العلاقة القائمة بين هذا المفهوم من حيث التصور الذهني والتعبير اللفظي والواقع. كما تصدّى بالدراسة لمسألة التراتبية وانعكاسها على شكل البناء الطبقي في المجتمع العباسي كنموذج.

أما **الأستاذ القادري** فقد شغل بمفهوم مصطلح الطبقة في المجتمع المغربي الوسيط وما يثيره من إشكاليات حول إمكانية توظيفه في الدراسات التاريخية حول الحقبة ذاتها. وقد تناول هذه الاشكالية بالتحليل انطلاقا من نموذج تاريخي يرجع إلى الحقبة المرابطية على أساس النمط الاقتصادي السائد آنذاك.

وفي العرض الثالث من هذا المحور، انصب اهتمام الأستاذ حناوي على مفهوم مصطلح الطبقة الاجتماعية في الدراسات المتعلقة بمرحلة ما قبل القرن السادس عشر في التاريخ الفيودالي الأوربي، التي غالبا ما تختلط بمصطلحات أخرى كالنظام والفئة أو المجموعة والشريحة.

أما المحور الخامس والأخير بـ : **اشكالية المصطلح في التحقيب في أواخر العصر الوسيط)** فاشتمل على عرضين للأستاذين أزيد بيه بن محمد (موريتانيا) ومحمد رزوق (كلية الآداب بعين الشق ـــ المغرب).

وقد ركز الأستاذ ازيد في مداخلته على إشكالية استعمال المصطلحات في دراسة الحقب

التاريخية الماضية وخلفياتها العلمية والايديولوجية، فيما اشتمل عرض الأستاذ رزوق على إشكالية المصطلح التاريخي الأندلسي في استعمالاته الحديثة من قبل الباحثين الأوروبيين وتغييرهم حمولات مصطلحات هذه الحقبة.

وكان اختيار مدرج الإمام مالك بكلية الآداب بمكناس مقراً لانعقاد الملتقى فرصة لحضور فاعل وكبير جسده طلبة الكلية الذين شغلوا مقاعد المدرج وممراته بأكملها. كما أبان معظم المتدخلين من الطلبة عن مقدرة ذهنية متفوقة في صياغة الأسئلة وفي طرحهم لبعض القضايا المصطلحية القديمة والمعاصرة في المنهج والمصطلح.

هذا وقد عقدت مائدة مستديرة بعد الانتهاء من القاء العروض للتوقف عند أبرز النتائج المرجوة من هذا الملتقى، فظهر من خلال النقاش أن ثمة التباسا يمكن استقراؤه من أعمال الندوة، وهو ضرورة التمييز بين المصطلح كبنية شكلية منفصلة عن سياقها المعرفي وبين المصطلح التاريخي كمفهوم ونسق متحرك قابل للنمو والتطور والتغيير، وإن الاشكالية هي في تحديد المفهوم التاريخي ورصد تطوراته الدلالية في الزمان والمكان قبل التوجه إلى وضع الوحدات المصطلحية كبنيات دالة.

وقد سجل المناقشون ارتياحهم لدور مكتب تنسيق التعريب في تنسيق المصطلحات وتوحيدها في الوطن العربي، مؤكدين حرصهم الشديد على الاطلاع على (معجم الآثار والتاريخ الموحد) (تحت الطبع)، وعلى نشر بحوث الندوة في مجلة المكتب (اللسان العربي).

هذا وقد أصدر المنتدون جملة من التوصيات فيما يخص العمل المعجمي والمصطلحي، هذه أهمها :

- مراعاة الالتزام بالمصطلحات الموحدة التي أعدها مكتب تنسيق التعريب بالرباط، وخاصة في مجال مصطلحات الآثار والتاريخ.
- مراعاة الالتزام بمصطلحات مجامع اللغة العربية، وبقراراتها في مجال وضع المصطلح وتعريبه.
- ضرورة تدريس قواعد المصطلحية في الجامعات العربية لتخريج جيل من المختصين يستطيع إن شاءوضع المصطلحات وفقا للقواعد الضابطة لهذه المصطلحية.
- الاستمرار بعقد اللقاءات والندوات للبحث في المصطلح التاريخي ولاستكمال دراسة الاشكاليات المصطلحية في مجال التاريخ خاصة.
- السعي إلى إعداد المعجم التاريخي التصوري والمفاهيمي انطلاقا من استقراء ومراعاة قواعد التراث العربي المصطلحي، ومن قواعد ومقاييس المصطلحية المعاصرة.

هذا، وقد عبر المشاركون في أعمال هذا الملتقى عن تقديرهم الخاص لسير أعمال الندوة وللتنظيم المحكم الذي تولاّه فريق من أساتذة كلية الآداب بجامعة مولاي اسماعيل بمكناس.

جواد حسني عبد الرحيم سماعنه